تفسير إبن كثير

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

وقوله : (فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا) أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : (وجعل الظلمات والنور) فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ، ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بدآدئه وظلام رواقه ، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه ، كما قال تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) [الأعراف : 54] ، فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه ، فذكر أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله : (وجاعل الليل سكنا) أي : ساجيا مظلما تسكن فيه الأشياء ، كما قال : (والضحى والليل إذا سجى) [الضحى : 1 ، 2] ، وقال (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) [الليل : 1 ، 2] ، وقال (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) [الشمس : 3 ، 4] .وقال صهيب الرومي رضي الله عنه لامرأته وقد عاتبته في كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا إلا لصهيب ، إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه ، وإذا ذكر النار طار نومه ، رواه ابن أبي حاتم .وقوله : (والشمس

والقمر حسبانا) أي : يجريان بحساب مقنن مقدر ، لا يتغير ولا يضطرب ، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا ، كما قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية [يونس : 5] ، وكما قال : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [يس : 40] ، وقال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) [الأعراف : 54] .وقوله : (ذلك تقدير العزيز العليم) أي : الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، يختم الكلام بالعزة والعلم ، كما ذكر في هذه الآية ، وكما في قوله : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [يس : 37 ، 38] .ولما ذكر خلق السماوات والأرض وما فيهن في أول سورة (حم) السجدة ، قال : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) [فصلت : 12] .